المحاضرة 02: لمحة تاريخية عن نشأة وتطور الاختبارات النفسية، أغراض استخدامها وتصنيفاتها

1- نشأة وتطور الاختبارات النفسية:

المسلمة الأساسية في عملية القياس النفسي أن كل فرد يختلف عن غيره من الأفراد في أبعاد معينة يمكن تعرفها وقياسها، والاختبارات النفسية مصممة لوضع قيم رقمية لهذه الفروق وكذلك وصفها، لقد شهد القرن 19 م اهتماما متزايدا بالمعاملة الانسانية للمتأخرين عقليا والذهانيين ويعتبر سيجان Seguin ، اسكيرولEsquirol ، ثم تلاهم بينيه Binet في فرنسا أبرز من اهتم بمسألة التخلف العقلي وتحديد مستوياته، فبرزت الحاجة إلى التمييز بين الأفراد في القدرة العقلية.(بدر الأنصاري، 2000، ص34)

ويتفق الباحثون في علم النفس أن حركة القياس النفسي الحقيقية بدأت من تأسيس أول معمل لعلم النفس وهو معمل فونت Wundt في جامعة ليبزج عام 1879، حيث كان فونت يعترف بالفروق الفردية على الأقل في الظواهر التي استطاع قياسها بأجهزته البسيطة، كرد الفعل وشدة الانتباه وزمن الرجع، والأكثر من ذلك أنه صمم جهازا لقياس الفروق الفردية في سرعة التفكير أطلق عليه اسم مقياس التفكير.

وأضافت جهود كاتل في دراسة سرعة العمليات الادراكية من خلال اختباراته التي أجراها على عدد كبير من الناس أهمية كبيرة لدراسة الفروق الفردية، حيث استطاع أن يصوغ قوانين سلوكية عامة تبين التحديد الكمي لنوع ودلالة الفروق الفردية. (أسعد الأمارة، 2014، ص28)

وفي عام 1884 افتتح غالتون Galton الذي يعد مؤسس الدراسة العلمية للفروق الفردية معمل القياس الانسانيAnthropometry في انجلترا، وفي أمريكا استخدم كاتل عام 1890 لأول مرة مصطلح الاختبار العقلي Mental test. (بدر الأنصاري، 2000، ص34)

وقد كان كاتل يلح على ضرورة تقنين إجراءات تطبيق الاختبار وإعداد جداوله المعيارية، وكان هو وثورندايك وودورث من الرواد الأوائل في دعم الاتجاه الجديد في علم النفس، وهو الاهتمام بالتحليل الاحصائي في دراسة الفروق الفردية، وكانت معظم البحوث تتركز حول زمن الرجع وحول الوظائف الحسية- الحركية البسيطة، وذلك بافتراض أن العمليات العقلية العليا يمكن فهمها عن طريق تحليلها إلى مكوناتها الأولية الحسية –الحركية مثل قوة السمع، حدة الإبصار، التمييز بين الأوزان، سرعة الحركة، القرة العضلية وزمن الرجع، فأعدوا لقياسها اختبارات خاصة. (فيصل عباس، 1996، ص6)

وكان بينيه أول من أشار عام 1895 إلى ضرورة إعداد اختبارات للعمليات العقلية الأكثر تعقيدا من العمليات الحسية –الحركية لقياس الذكاء مثل التذكر، الانتباه والتفكير، وفي عام 1904 عينت وزارة التربية الفرنسية لجنة من بينها بينيه لتقصي أسباب التأخر الدراسي، وقد نشر بينيه مع سيمون أول مقياس للذكاء عام 1908 وكان يتكون من 30 سؤالا مرتبة حسب صعوبتها، وفي عام 1908 عدل

المقياس باستخدام مفهوم العمر العقلي، ثم عدل مرة أخرى عام 1911، ثم أجري عليه تعديل من قبل تيرمان عام 1916 في جامعة ستانفورد، والتي استخدم فيها مفهوم الذكاء، وقد خضع لتعديلات أخرى بالاشتراك مع ميريل في 1937 و1960 (محمد الخطيب وأحمد الخطيب، 2010)

وقد ساعدت هذه المحاولات على ظهور وتطور صياغة مفردات الاختبار صياغة موضوعية، وعلى تحديد مفهوم الذكاء، وكذلك نسبة الذكاء عند الفرد.

كما ساعدت محاولات بينيه على ظهور وتطوير العديد من اختبارات الذكاء، واختبارات القدرات الخاصة، والاستعدادات، مع زيادة الاهتمام باختبارات الميول والاتجاهات والقيم والتحصيل.

أما اختبارات الشخصية فكانت مجالا آخر للقياس النفسي، ففي عام 1892 استخدم كريبلين اختبار تداعي المعاني مع المرضى في المجال الطبي النفسي، وكانت صحيفة البيانات الشخصية من وضع وودورث النموذج الأصلي لاستخبارات الشخصية في الحرب العالمية الأولى عام 1919، وفي العشرينيات والثلاثينيات بدأ منحى الاختبارات الموقفية الأدائية على يد هارتشون وماي عام 1928 وزملائهما، أما المنحى الثالث في قياس الشخصية فكان الطرق الاسقاطية. (بدر الأنصاري، 2000، ص35)

فانتشر اختبار بقع الحبر روشاخ عام 1924، كما أعد موراي اختباره الاسقاطي تفهم الموضوع، ومن ثم ظهر عدد كبير من هذه الاختبارات وانتشر استخدامها في المدارس لتصنيف التلاميذ وتوجيههم، وفي الصناعة وفي العيادات والمستشفيات للتشخيص. (فيصل عباس، 1996، ص7)

وفي نفس الوقت الذي بدأ الاهتمام فيه بقياس الشخصية عن طريق الطرق الاسقاطية (أوائل القرن 20م) قام علماء نفس آخرون بإعداد نموذج مختلف من مقاييس الشخصية، وهم العلماء من ذوي الخلفية التي تقوم على الاحصاء النفسي وما يتصل به من أمور تتعلق بالثبات والصدق والمعايير، وكان هدفهم إعداد مقاييس لقياس سمات محددة في الشخصية بدلا من كونها مقاييس تحكم على الشخصية بوجه عام كما هو الحال بالنسبة للطرق الاسقاطية وهو الاتجاه السيكومتري في قياس الشخصية، وتعتبر قائمة الشخصية متعددة الأوجه والذي ظهر في الأربعينيات نموذجا واضحا لتلك الفترة. (بدر الأنصاري، 2000، ص35)

أما ظهور الاختبارت الجمعية فكانت بدايتها مع بدء الحرب العالمية الأولى بظهور اختبارات الذكاء العسكرية ألفا وبيتا (Army Alpha –Army Beta) لفرز المجندين وانتقاء القادة ورجال المهمات الخاصة، أما اختبارات الاستعدادات فقد كان للحرب العالمية الأثر الكبير في ظهورها.

وفي عام 1922 قدم فريد (Fred) اختبارا للميول المهنية وكان بعده اختبار سترونج (Strong) عام 1927، وفي عام 1942 توصل كودر(Kuder) لاختبار الميول المهنية الذي يستخدم في التوجيه المهني والتربوي.

كما تجدر الإشارة إلى أن استخدام التحليل العاملي ساهم بشكل كبير في تطور اختبارات الذكاء والشخصية. (محمد الخطيب وأحمد الخطيب، 2010، ص17)

2- أغراض واستخدامات الاختبارات النفسية:

تستخدم الاختبارات النفسية في مجالات عديدة نلخصها فيما يلي:

***المجال التربوي:** تطبق الاختبارات في هذا المجال لخدمة التوجيه التربوي، وذلك لقياس قدرات الطلبة وميولهم واستعداداتهم الدراسية المختلفة، ويمكن للإدارة التعليمية أن تعتمد على هذا الأساس في توزيع الطلبة على أنواع التخصصات التي تتناسب مع قدراتهم واستعداداتهم وميولهم وذكائهم العام، والكشف أيضا عن القدرات الخاصة لديهم، وهذا يؤدي حتما إلى حسن تكيف الطالب وشعوره بالارتياح وتجنبه الشعور بالفشل والاحباط. (محمد الخطيب وأحمد الخطيب، 2010، ص21)

كما يمكن من خلال الاختبارات النفسية الكشف عن صعوبات التعلم التي يواجهها بعض التلاميذ بالإضافة لأدوات التقويم التربوي الأخرى، فالتشخيص التربوي حسب (امطاينوس ميخائيل، 2016) يتضمن: تحديد أو تعيين التلاميذ الذين يواجهون صعوبات خاصة في التعلم من خلال مقارنة نتائج الاختبارات التحصيلية ولاسيما المقننة منها بنتائج اختبارات الذكاء والاستعداد المدرسي، وأيضا دراسة وتحليل الصفحة النفسية للتلميذ (البروفيل) التي من المفروض أن تضم النتائج التي يحصل عليها في بطارية اختبارات تغطي مجالات دراسية عديدة.

بالإضافة إلى تحديد الطبيعة الخاصة للصعوبة ومواطن القوة عند التلميذ، باعتبار أن للصعوبة درجات وأن العلاج يبدأ من مواطن القوة للتلميذ.

والنقطة الأخيرة هي تحديد عوامل الضعف التي قد تكون: الحالة الصحية، المناخ المدرسي، بيئة المنزل، مشاكل التكيف، أو عادات الدراسة بالإضافة إلى النمو العقلي العام للمتعلم وقدراته الخاصة وميوله، وهذا ما يظهر أهمية الاختبارات النفسية في تشخيص تلك الصعوبات.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن التشخيص التربوي الحديث لا يقتصر على المعارف والمهارات الأكاديمية، فقد اتسع مجاله لينسجم مع المفهوم الحديث للتربية التي تركز على مظاهر النمو كافة، حيث

تعتبر العوامل غير المعرفية مثل التكيف الشخصي والاجتماعي، الاتزان الانفعالي وشخصية التلميذ ذات تأثير مباشر على النمو المعرفي والتحصيل الدراسي.

***المجال المهني:** تطبق الاختبارات النفسية المختلفة في: التوجيه المهني للفرد إلى مهن معينة، يمكن أن يحصل فيها على أكبر قدر من النجاح، ويقوم هذا التوجيه على أساس دراسة شخصية الفرد بحيث نحصل من نتائج الاختبارات النفسية التي يمكن أن تكون في إطار مقابلات شخصية على صورة حقيقية وشاملة لشخصية الفرد.

ومن الضروري أن يخضع المترشح لوظيفة معينة إلى اختبارات نفسية تحدد إلى أي مدى هو مؤهل لشغل ذلك المنصب، تفيد الاختبارات النفسية أيضا في التدريب المهني والتأهيل حيث تستخدم لتحديد الأشخاص لنوع معين من التدريب، وتدريبهم على الأعمال التي تناسب قدراتهم ومواهبهم واستعداداتهم. (محمد الخطيب وأحمد الخطيب، 2010، ص22)

***المجال العيادي:** تستخدم الاختبارات النفسية في المستشفيات والعيادات النفسية لمعرفة نوع الاضطرابات ومن ثم رسم خطط للعلاج بناء على نتائجها، كما تستخدم لقياس التخلف العقلي وتحديد مستوياته (اختبارات الذكاء والسلوك التكيفي مثلا)، لإعداد برامج تناسب كل فئة.

***مجال البحث العلمي في علم النفس والتربية:**

تشغل الاختبارات النفسية حيزا مهما ضمن فعاليات البحث وتعد الركيزة الأساسية خاصة في البحوث الميدانية، ويذكر (امطاينوس ميخائيل، 2016) أن البحوث النفسية والتربوية تعتمد على أدوات القياس لجمع البيانات والتحقق من الفروض، أو حتى اشتقاق فروض.

3- تصنيف الاختبارات النفسية:

ترجع التصنيفات المتعددة للاختبارات النفسية إلى تعدد وجهات نظر الباحثين بسبب اختلاف اهتماماتهم العلمية، ولكن هذه الاختلافات في التصنيفات لا تؤكد على وجود فروق جوهرية في وجهات النظر، بل في أغلب الأحيان تؤكد على وجود قدر من التداخل والتشابه بينها، فمن الممكن وضع الاختبار الواحد تحت أكثر من تصنيف مثل الاختبارات الجمعية قد تكون من نوع اختبارات السرعة أو من نوع اختبارات القوة، أو من النوع اللفظي أو غير اللفظي.

وفيما يلي سنعرض أكثر أسس تصنيف الاختبارات النفسية شيوعا:

أولا: تصنيف الاختبارات النفسية وفق مجالات القياس

المجال العقلي/ المعرفي: يركز هذا المجال على قياس النشاط العقلي المعرفي في مظهر من مظاهر النشاط التالية: التعلم، الفهم، مهارات التفكير، الذاكرة، الانتباه، الادراك، التصور أو التخيل والذكاء، من أهم الاختبارات المستخدمة اختبارات القدرات العقلية العامة التي تهدف إلى قياس النشاط العقلي المعرفي كما هو قائم بالفعل وكما يبدو في السلوك الذي يقوم به الفرد، اختبارات الاستعدادات التي تهدف إلى قياس إمكانية التنبؤ بما يستطيع الفرد أن يقوم به في المستقبل ومن أمثلتها اختبارات القبول بالجامعات وكذلك اختبارات القدرات الخاصة، وكذلك نجد الاختبارات التحصيلية.

المجال الوجداني: يركز هذا المجال على المشاعر والانفعالات متمثلة في الميول والاتجاهات والقيم والأخلاق وسمات الشخصية.

المجال النفس حركي: تهتم الاختبارات في هذا المجال بقياس المهارات والأداءات العملية، ومن أمثلتها اختبارات المهارات الكتابية. (صلاح مراد وأمين سليمان، 2005)

ثانيا: التصنيف وفق طريقة تطبيق الاختبار

الاختبارات الفردية: وهو موقف مقابلة مقنن يهدف إلى قياس أداء كل فرد على حدا بواسطة الفاحص، وهي بذلك تعطي الفرصة للتواصل بين الفاحص والمفحوص مما يفسح المجال لاستثارة دافعية المفحوص وضمان ملاحظة الأساليب التي يلجا إليها المفحوص في أدائه الاختباري وأساليب حله للمشكلات والتعرف على أنواع الأخطاء التي يرتكبها.

الاختبارات الجمعية: وتهدف إلى قياس سلوك مجموعة من الأفراد مرة واحدة وفي وقت واحد بواسطة الفاحص، ومن أمثلة الاختبارات الجمعية: اختبارات الميول والاتجاهات، اختبارات الشخصية اختبارات الذكاء مثل اختبار المصفوفات المتتابعة لرافن.

بالنسبة للتعليمات في الاختبارات الجمعية تكون أبسط منها في الاختبارات الفردية، وهي أقل كلفة وانتشارا، كما أنها لا تتطلب خبرة أو مهارة خاصة من جانب الفاحص. (امطاينوس ميخائيل، 2016)

ثالثا: التصنيف وفق طريقة الأداء:

الاختبارات الكتابية (اختبارات الورقة والقلم):

أغلب الاختبارات النفسية هي من نوع الورقة والقلم، وهي كثير الاستخدام في اختبارات الشخصية واختبارات القدرات والاختبارات التحصيلية التحريرية، ومحتوى اختبارات الورقة والقلم قد يكون لفظيا أو غير لفظي (رموز وأشكال، متاهات، سلاسل حروف، سلاسل أرقام، رسومات مألوفة وغير مألوفة...)

الاختبارات الأدائية (العملية):

يصلح هذا النوع من الاختبارات لقياس الأداء المهاري اليدوي، وكذلك المهارات التي تعتمد على الحواس، كما يصلح أيضا لقياس القدرة الميكانيكية، الموسيقية والفنية.

يمكن أن تستخدم هذه الطريقة مع الأميين الكبار والأطفال الصغار لقياس قدراتهم العقلية المعرفية. (صلاح مراد وأمين سليمان، 2005)

رابعا: التصنيف وفق الزمن المخصص للإجابة:

الاختبارات الموقوتة: أو ما يطلق عليها اختبارات السرعة حيث يحدد فيها زمن للتعليمات وآخر للإجابة، ولا يسمح للمشارك بتجاوز الزمن المحدد، وتتميز أسئلة هذه الاختبارات بأنها في مستوى واحد من مستويات الصعوبة، بمعنى أن مفرداتها تنتشر في الاتجاه المستعرض أكثر من انتشارها في الاتجاه الطولي من حيث مستوى الصعوبة.

الاختبارات غير الموقوتة أو ما يطلق عليها اختبارات القوة: حيث يكون زمن الإجابة غير محدد، وتتميز مفرداتها بأنها متدرجة في الصعوبة، بمعنى أن مفرداتها تنتشر في الاتجاه الطولي أكثر من الاتجاه المستعرض، وتقاس القوة من خلال إجابات المفحوص على عدد من الأسئلة غير محددة الزمن. (سوسن مجيد، 2014)

خامسا: التصنيف وفق محتوى مادة الاختبار

الاختبارات اللفظية: حيث تقدم مفردات الاختبار في صورة لفظية أي عبارات لها معنى، حيث أن لقدرة المفحوص على استخدام الكلمات (اللغة) وفهمها دورا هاما في تحديد ما إذا كان المفحوص قادرا على إصدار الاستجابة من عدمه.

الاختبارات غير اللفظية: حيث تقدم مفردات الاختبار في صورة غير لفظية قد تكون من نوع الأشكال المألوفة أو غير المألوفة أو من نوع الرموز، سلاسل حروف أو أعداد أو رموز متفق عليها.

واستخدام اللغة يكون في شكل تعليمات ليفهم المفحوص المطلوب منه، وتتطلب الإجابة على بنود هذه الاختبارات أعمالا معينة كإعادة ترتيب أشكال أو رموز أو إدراك علاقات بين الأشكال وإتمام الأجزاء الناقصة، مثل سلسلة اختبارات المصفوفات المتتابعة لرافن الملونة العادية والمتقدمة. (صلاح مراد وأمين سليمان، 2005)

سادسا: التصنيف حسب طبيعة الأداء

اختبارات الأداء الأقصى: وهي تتطلب من المفحوص تقديم أفضل ما لديه من إجابات للحصول على درجات عالية، فتستعمل للكشف عن مستوى القدرة أو أقصى الأداء الذي يمكن أن يصل إليه الفرد، وهي تتضمن اختبارات القدرات (الذكاء، القدرة العقلية العامة) والاستعدادات المختلفة والقدرات الخاصة كالقدرة اللفظية والقدرة الميكانيكية والقدرة العددية ... حيث تشتمل على تشكيلة واسعة من المهمات والأنشطة، كما تنتمي إلى فئة اختبارات الأداء الأقصى اختبارات التحصيل الدراسي. (امطاينوس ميخائيل، 2016)

اختبارات الأداء العادي أو النمطي أو الطبيعي أو المميز: هي اختبارات تعكس سلوك الفرد في الظروف العادية أو الطبيعية دون محاولة خارجية لتوجيه هذا السلوك، حتى يكون التقدير الذي يحصل عليه الفرد منسجما مع السلوك الواقعي، لذلك تعتبر مقاييس الاتجاهات والميول والقيم وسمات الشخصية من نوع الأداء العادي. (سوسن مجيد، 2014)

سابعا: التصنيف حسب درجة تحديد المثير والاستجابة

الاختبارات الاسقاطية: وهي الاختبارات التي لايكون فيها المثير محدد، ولا الإجابة محددة، حيث تعطي هذه الاختبارات الحرية للمفحوص لتأليف الإجابة والتعبير بأسلوبه، كما تنتمي إلى هذا النوع تلك الاختبارات التي تنطوي على مواقف ومثيرات غامضة وليس لها معنى محدد بالأصل، ولكنها تتطلب من المفحوص أن يعطيها معاني معينة من واقع حياته كالاختبارات النفسية التشخيصية مثل اختبار روشاخ.

الاختبارات محددة البناء: هي الاختبارات التي يكون فيها المثير واضحا، أو يكون المطلوب في السؤال محددا، كما أن هناك مفتاح إجابة محدد، أو الإجابات مقيدة بالاحتمالات الواردة وتتطلب الإجابة بنعم أو لا أو لا ادري، أو موافق جدا، موافق، محايد، معارض ومعارض جدا كما في استخبارات الاتجاهات والميول وسمات الشخصية. (امطاينوس ميخائيل، 2016؛ سوسن مجيد، 2014)